

قدم الشيعة في التفكير الفلسفي والكلامي في الإسلام

<"xml encoding="UTF-8?">



منذ اليوم الذي انفصلت الاقلية الشيعية عن الاكثرية السنية ، كانت الشيعة تقيم الاحتجاج مع مخالفيها في النظريات التي كانت تتبناها، والخاصة بها.

صحيح ان الاحتجاج ذو طرفين ، والمتخاصمان شريكان في دعواهم ، ولكن الشيعة كانت تقف موقف الهجوم ، والآخرين كانوا في موقف الدفاع ، فالذي يقف موقف الهجوم يجب ان يكون قد هيا الوسائل الكافية للمخاصمة ، ومن ثم الاقدام والهجوم .

وكذا في التقدم الذي حظيت به المباحث الكلامية بصورة تدريجية ، في القرن الثاني واول القرن الثالث ، فقد وصل في رقيه الى القمة مع انتشار مذهب الاعتزال ، فعلم الشيعة ومحققوهم ، والذين هم تلاميذ مدرسة اهل البيت (ع)، كانوا في المقدمة من المتكلمين .

فضلا من ان متكلمي اهل السنة ، من الاشاعرة والمعتزلة وغيرهم ، يصلون في تدرجهم هذا الى الامام الاول للشيعة ، وهو الامام علي (ع)، واما اولئك الذين عرفوا آثار الصحابة ، واطلعوا عليها، يعلمون جيدا ان من بين جميع هذه الاثار التي تنسب الى الصحابة ، (وقد دونت اسما اثني عشر الفا) لم نجد اثرا واحدا يشتمل على التفكير الفلسفي وينفرد الامام علي (ع) بخطابه وبيانه المبهر في معرفة الله تعالى ، بانه يتصف بالتفكيرات الفلسفية العميقة جدا.

لم تكن للصحابة ولا التابعين الذين جاؤوا بعد الصحابة ، والعرب بصورة عامة في ذلك اليوم ، اية معرفة بالتفكر الفلسفي الحر، ولم نجد في اقوال العلما في القرنين الاولين للهجرة ، نماذج من التدقيق والتتبع ، بينما نجد الاقوال الرصينة لائمة الشيعة ، وخاصة الامام الاول والثامن ، تحتوي على كنوز من الافكار الفلسفية ، كما علموا تلاميذهم هذا اللون من التفكير.

نعم كان العرب بعيدين عن التفكير الفلسفي ، حتى شاهدت نموذجا منها في ترجمة بعض الكتب الفلسفية اليونانية ، المترجمة الى العربية في اوائل القرن الثاني للهجرة ، وبعدها ، ترجمت كتب متعددة في اوائل القرن الثالث الهجري من اليونانية والسريانية وغيرها الى العربية ، وأنداك اصبحت طريقة التفكير

الفلسفي في تناول ايدي العموم ، ومع هذا الوصف ، فان الكثيرين من الفقها والمتكلمين ، لم يبدوا اهتماما بالفلسفة وسائر العلوم العقلية ، والتي وردت اليهم حديثا، وان كانت هذه المخالفة في بداية الامر ذات اهمية ، بفضل الالتفات الخاص الذي كانت تبديه السلطة الحاكمة آنذاك لمثل هذه العلوم .

ولكن بعد زمن تغيرت الاوضاع والاحوال ، فمنعت دراسة هذه العلوم ، والقي في البحر بعض الكتب الفلسفية ، وما كتاب رسائل (اخوان الصفا) وهو من نتاج فكري لعدد من مؤلفين ، الا مذكر بتلك الفترة ، فهو خير دليل على كيفية الاوضاع المضطربة في ذلك الزمن ، وبعد هذه الفترة ، اي في اوائل القرن الرابع الهجري ، ظهرت الفلسفة ونمت ، على يد (ابي نصر الفارابي).

وفي اوائل القرن الخامس للهجرة ، واثر مساعي الفيلسوف المشهور (ابي علي سينا) اتسعت الفلسفة اتساعا بالغاً ، وفي القرن السادس ايضا، نقح الشيخ (السهروردي) فلسفة الاشراق ، وقد قتل بهذه التهمة ، و بامر من الحاكم (صلاح الدين الايوبي) وبعدها ارتحلت قصة الفلسفة من بين الكثيرين ، ولم ينبغ فيلسوف شهير، حتى جا القرن السابع الهجري فظهر في (الاندلس) اطراف الممالك الاسلامية ، (ابن رشد الاندلسي) وسعى في تنقيح الفلسفة .